خاتمة

لم يعد لأوروبا ما تقدمه للعرب، من نظريات وأيديولوجيات وفلسفات مبهرة فكلنا يذكر طه حسين. عميد الأدب العربى، كيف كان يكتب عن فولتير بإعجاب لأحد له.. ورفاعة الطهطاوى. قديما، عندما كان يكتب عن مونتسكيو وروح قوانينه بانبهار.. اليوم يذهب الجيل العربى الجديد فلا يجد ما ينقله اللهم إلا انكفاء شخصيا على شرقيته وإسلامه.. فيقول وقد تشبع بأفكار متشددة. ورؤى أصولية متعنتة، وهو معذور فى ذلك فأوروبا لم يعد لديها ما تقدمه للعرب.. وفى الجيل الماضى كتب عباس العقاد عن أسبقية المسلمين للأوروبيين فى أمور الدين والدنيا كذلك فعل عبد الرحمن بدوى فى كتاب مشابه لكتاب العقاد.. لكن ما الحيلة وقد نضب معين أوروبا.. فلا أفكار عظيمة أو كبيرة. ولا إيديولوجيات تغذي الألباب كما كانت.. فقد أضحت صحراء مقفرة والعيب ليس فينا وحدنا كما ذهب بعض النقاد ولكن فى أوروبا أيضا التى استعاضت عن أفكارها الكبيرة بفكرة الاحتلال والغزو.. فدولة مثل مصر مثلا كنا نطل من شباك المنزل نجد العسكر الإنجليزى يقف مدججا بالسلاح ثم جاءت الحملة الفرنسية ووضعت المطبعة والكتاب فى مكان العسكرى الإنجليزى فكانت اعتمدت أسلوب الغزو الثقافى. وفى مرحلة تالية استعاضت أوروبا عن«هذا» و«ذاك» بتأليب الشعب على بعضه البعض.. ففى مصر نجد المسلمين مع الأقباط أو أهل القاهرة ضد أهل أسوان. وهكذا بدلا من أن نحارب أصحاب الغزو الحقيقيين.. نشرع فى حرب ذوينا وأهلنا فى كل مكان.. كل ذلك.. لأنه كما قال خالد زيادة، لم يعد لأوروبا ما تقدمه للعرب.. اللهم إلا تحريك قوم على قوم.. أو تأليب فصيل على فصيل أو استعداء مذهب على مذهب!!

الإفلاس بات هو سيد الموقف فلا العرب لديهم الرغبة فى أن يتعلموا جديدا.. ولا الأوربيون عندهم الجديد الذى يعلمونه لأهل الشرق! اللهم إلا الطور الجديد من الاحتلالات والغزو.. وهو استعداء هذا على ذاك من أهل البلد الحقيقيين.. وإذا توسعنا فى ذلك وجدنا آن الغرب هو الذى أعاد نفسه كغرب منذ البداية.. وأصبحت معادلة غرب يقابلها بالضرورة شرق والعداء المستحكم بينهم.. فها هى أمريكا تقود رأس حربة الغرب.. وتدخل أوروبا طواعية إلى بيت الطاعة الأمريكى وأصبحنا نجد أنفسنا فى مواجهة غرب متكامل الأركان فإذا منعت أمريكا المعونة الأمريكية عن مصر . منعت أوروبا المساعدات الأوروبية تلقائيا.. وتنفذ السيدة أشتون المفوضة الأوروبية الأجندة الأمريكية فتأتي إلى مصر وتزور الرئيس المعزول وتطالب بإطلاق سراحه فهو إذن موقف أمريكى تعلن عنه فقط السيدة أشتون.. ولأن أوروبا أصبحت صحراء مقفرة.. فاستبعدت إلى الأبد. على الأقل حاليا. أفكار مثل الاستقلالية القرار الأوروبى وانفصاله عن القرار الأمريكى كما كان رائجا منتشرا فى زمن جاك شيراك عندما كان حاكما لفرنسا وعندما كان جرهارد شرور مستشارا لألمانيا. ورغم أن فرنسا يحكمها حاليا الاشتراكى فرنسوا أولاند وميركل فى ألمانيا إلا أن السياسة الأوروبية قد تماهت مع السياسة الأمريكية لتصبح وجها آخر لعملتها الاحتلالية والاستعمارية الجديدة..

باختصار.. أننا أمام موجة جديدة من الاستعمار الجديد الذى يمثله الغرب بقيادة أمريكا ومساعدة فرنسا وألمانيا ومباركة دول أوروبية صغيرة مثل السويد والمجر والدانمرك وهولندا..